

أضواء البيان

@ 224 ، وطول وقصر ، وسعادة وشقاوة إلى غير ذلك من الأحوال . . .

وقد دلت على هذا المعنى آيات من كتاب الله ، كقوله : { وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ } . لأن ما فيه موصولة بلا نزاع ، وكقوله : { هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي أَرْحَامٍ مَّا يَشَاءُ } .

وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا : أن تكون لفظة ما في الآية الكريمة مصدرية ، أي يعلم حمل كل انثى بالمعنى المصدرية ، وقد جاءت آيات تدل أيضا على هذا المعنى ، كقوله : { وَمَا تَحْمِلُ مِنْهُنَّ أَثْقَالًا وَلَا تَعْذَرْنَ لَهُنَّ } .

وَقَوْلُهُ : { وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ } . . .

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد يكون لها وجهان كلاهما حق ، وكلاهما يشهد له قرآن ، فنذكر الجميع . . .

وأما احتمال كون لفظة ما في هذه الآية استفهامية ، فهو بعيد فيما يظهر لي ، وإن قال به بعض أهل العلم ، وقد دلت السنة الصحيحة على أن علم ما في الأرحام المنصوص عليه في الآيات المذكورة مما استأثر الله به دون خلقه ، وذلك هو ما ثبت في صحيح البخاري من أن المراد بمفاتيح الغيب في قوله تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا اللَّهُ } الخمس المذكورة في قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا أَتَىٰ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَمُوتُ } ، والاحتمالان المذكوران في لفظة ما من قوله : { وَيَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ } الآية ، جاريان أيضا في قوله : { وَمَا تَغْيِيصُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ } ، فعلى كونها موصولة فيهما ، فالمعنى يعلم الذي تنقصه وتزيده ، وعلى كونها مصدرية ، فالمعنى يعلم نقصها وزيادتها . واختلف العلماء في المراد بقوله : { وَمَا تَغْيِيصُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ } تَزْدَادُ { وهذه أقوالهم في الآية بواسطة نقل (صاحب الدر المنثور في التفسير بالمأثور) : أخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله { وَمَا تَغْيِيصُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ } قال : (هي المرأة ترى الدم في حملها) .

